الدرس التاسع عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد :

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أجزل الله له الأجر والثواب في كتابه «التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» :

باب قول الله تعالى { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ } [القصص: ٥٦] .

في الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه رضي الله عنه قال : «لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل ، فقال له : ((يا عم قل لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله)) ، فقال له : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم فأعاد ، فكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب ، وأبي أن يقول لا إله إلا الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((لأستغفرن لك ما لم أنه عنك)) ، فأنزل الله عز وجل : { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ } [التوبة: ١١٣] . وأنزل الله في أبي طالب : { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } [القصص: ٥٦] .

أيها الإخوة الكرام : هذه الترجمة ((باب قول الله تعالى { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ })) هي مثل سوابقها من التراجم التي ساقها الإمام رحمه الله تعالى لبيان براهين التوحيد ودلائله وبطلان الشرك ، وأن العبادة حق لله عز وجل لا تُصرف لأحدٍ سواه ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥] . وهو جل وعلا الذي بيده الأمر عطاءً ومنعاً ، خفضاً ورفعاً ، عزاً وذللاً ، هدايةً وضلالاً ، كفرةً وإيماناً الأمر كله بيده جل وعلا ((مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ))؛ فالأمر لله سبحانه وتعالى من قبل ومن بعد ، إذا كتب الله عز وجل هدايةً لعبده من عباده لم يستطع أحدٌ على إضلاله ولو تظاهر الناس عليه ، وإذا كتب الله سبحانه وتعالى لعبده ضلالاً لم يستطع أحد أن يهديه مهما كانت مكانته وقدره منزلته ، فالأمر بيده.

وفي هذه الآية الكريمة التي ترجم بها المصنف رحمه الله تعالى يقول الله مخاطباً نبيه ومصطفاه ومجتباه وخير عباده وأعظمتهم جاهاً ومكانةً عند الله سبحانه وتعالى ؛ يقول الله له : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ أي : من أحببت هدايتهم ، من أحببت دخولهم في الإيمان ، ولو أيضاً حرصت على ذلك حرصاً عظيماً وبذلت في ذلك

جهداً كبيراً إن لم يكن الله تبارك وتعالى كتب لهم هدايةً فإنك لا تهدي من أحببت . مثلها قول الله تعالى ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣] ولو حرصت على هدايتهم . ومثلها ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧٢]؛ فالهداية بيد الله فلا تُطلب إلا منه ولا يُلتجأ في نيلها وتحصيلها إلا إليه سبحانه وتعالى لأنه هو الذي بيده الأمر جل في علاه .

إِذَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ هذا برهان من براهين التوحيد ودليل من دلائله ، وشاهد عظيم على بطلان الشرك ؛ لأن من يلجأ إلى غير الله حتى لو كان الذي لجأ إليه خير عباد الله وأفضلهم وأعلاهم مكانة فإنه ليس بيده شيء من الأمر ، فقد مر معنا قول الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨] أي أن الأمر كله لله ويبد الله سبحانه وتعالى . فإذا لجأ ملتجئ إلى غير الله يطلب منه تفريج كربة أو كشف شدة أو إزالة غمة أو صلاح قلب أو حصول هداية أو نجاة من مصيبة أو تفريج كربة أو غير ذلك فإنه قد لجأ إلى من لا يملك شيئاً من ذلك وليس بيده شيء من ذلك ، من لجأ إلى غير الله تبارك وتعالى يطلب صلاح قلبه وهدايته وثباته؛ لجأ إلى غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى .

فَإِذَا قَوْلُهُ جَلَّ فِي عِلَاة: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ هذا برهان من براهين التوحيد ، وفيها دليل واضح أنّ من طلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله فهو مشركٌ الشرك الأكبر الناقل من الملة . من طلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله كأن يطلب من غير الله صلاح قلبه وهداية نفسه وثباته على الحق ، أو يطلب من غير الله حسن الخاتمة ، أو يطلب فوزاً بالجنة أو نجاةً من النار أو غير ذلك من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله وهي بيده وحده ولا يملك منها أي أحد كائناً من كان شيئاً لا قليلاً ولا كثيراً ؛ فمن فعل ذلك فقد أشرك الشرك الأكبر الناقل من الملة .

والشرك في باب الدعاء : أن يُدعى ميتاً أو يُدعى غائباً أو يدعى حاضراً فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى؛ فهذا كله شرك أكبر ناقل من الملة . وكيف إذا اجتمعت لإنسان بأن يدعو ميتاً وغائباً بعيداً عنه وعن مكانه في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله !! وهذا يقع من أناس وأناس في التجاءات وذل وخضوع وفزع إلى غير الله تبارك وتعالى، حتى إن بعضهم إذا كان الميت الذي يطلب حاجته منه بعيداً عن بلده بعثها بمكتوبٍ إليه مع من يسافر ، يبعث معه مكتوباً يقول تجعلها عند قبر فلان أو عند قبر النبي عليه الصلاة والسلام أو غير ذلك، ويطلب من المسائل والحاجات الدنيوية والأخروية ؛ فهذا كله من الشرك الأكبر الناقل من الملة . فالله جل وعلا يقول لنبيه ومصطفاه صلوات الله وسلامه عليه ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ أي من لم يشأ الله هدايته وقد أحببت أن تهديه لا يمكن أن تهديه ولا سبيل لك إلى هدايته مهما بذلت ومهما حرصت . والذي لم يكتب الله

سبحانه وتعالى له هداية لو جاءتة كل الأمور التي تكون سبباً في إيقاظ القلب وصلاحه وإقباله فإنه لا يهتدي مادام أن الله سبحانه وتعالى لم يكتب له هداية .

وفي سورة الأنعام ، والله آية عظيمة في هذا الباب وهي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَلَّامًا نَزَّلْنَا بِاللَّيْلِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ مُكْتَئِبًا ﴾ [الأنعام: ١١١] ؛ انظر هذه الأشياء : لو أن الملائكة نزلت ورأوها عياناً ، وخرج لهم الموتى من القبور وقالوا إن هذا الدين حق وإننا أيقنا وتبين لنا أنه الحق ، خرج لهم الأموات من القبور وخاطبهم ونزلت الملائكة من السماء وخاطبهم ، وحشرنا عليهم كل شيئاً قبلاً أي جميع الآيات التي أرادوها وطلبوها جاءت كلها معاينة لهم وشاهدوها ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله . انظر هذه الآية سبحان الله ما أعظمها في هذا الباب «باب الهداية» ؛ الملائكة لو نزلت من السماء ، والموتى لو خرجوا من القبور ، وحُشر لهم كل شيء قبلاً أي معاينة من الآيات والأمور التي طلبوا أن تنزل لأجل أن يؤمنوا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله . فالهداية لا تقع ولا تكون ولا تحصل لأي أحد إلا إذا شاء الله سبحانه وتعالى . فإذا هذا من براهين التوحيد العظيمة وشواهد الكبرية أن الأمر بيد الله ؛ هذا الذي هو غير الله يُطلب منه يلجأ إليه يُسأل ليس بيده شيء من الأمر ولا يملك شيئاً من الأمر .

وإذا قرأنا قصة نزول الآية نرى عجباً في هذا الباب العظيم ، ولنتذكر أن نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام هو خير عباد الله وأفضلهم وأعلاهم وأرفعهم جاهاً ومكانةً عند الله سبحانه وتعالى . جاء في سبب نزل الآية الكريمة ما جاء في الصحيح عن ابن المسيّب ((لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل مخزوميان من بني مخزوم ، وأيضاً المسيّب مخزومي ، والظاهر أن المسيّب كان حاضراً ويروي شيئاً كان حاضراً ومشاهداً له ، فكان من الثلاثة الذين حول أبي طالب عندما حضرته الوفاة ؛ المسيّب وعبد الله بن أبي أمية وأبو جهل وكلهم في ذلك الوقت كانوا على غير الإسلام . والمسيّب أسلم وشهد بيعة الرضوان ، وعبد الله بن أبي أمية أيضاً أسلم ، وأبو جهل واسمه أبو الحكم لكن النبي صلى الله عليه وسلم سماه أبو جهل ووصفه بأنه فرعون هذه الأمة قُتل يوم بدر على الشرك والكفر بالله سبحانه وتعالى .

يقول المسيّب : ((لما حضرت أبا طالب الوفاة)) ؛ حتى يزداد فهمنا لهذه القصة لتتذكر من هو أبو طالب ؟ وما هي مواقفه مع النبي عليه الصلاة والسلام ؟ وأبو طالب هو عم النبي عليه الصلاة والسلام ، وكفل النبي صلى الله عليه وسلم منذ الثامنة من عمره بعد أن توفي جده عبد المطلب ، وبقي على كفالته ثم رعايته ثم نصرته ثم الذب عنه والمدافعة عنه إلى أن توفي ، حتى إنه قال في أبياتٍ له يُقسم بالله العظيم قال : "والله لن يصلوا إليك بكيدهم أو نحو ذلك حتى أوسد في التراب دفينا " ؛ لن يصلوا إليك ولن تمتد يد من أيديهم إليك حتى أوسد في التراب ،

بمعنى أنه عقد العقد والعهد على نفسه أن ينصر النبي عليه الصلاة والسلام نصرة دائمة متواصلة إلى أن يموت ، وكان فعلاً عند يمينه التي حلفها . وفي الوقت نفسه كان يعلم - وهذا أيضاً من الأمر العجيب في هذا الباب - كان يعلم في قرارة نفسه وصرح بذلك بأن دين محمد هو الدين الصحيح ولهذا قال في أبياته:

ولقد علمتُ بأن دين محمدٍ من خير أديان البرية دينا

إذاً لماذا لا تسلم وقد علمت هذا العلم وفهمت هذا الفهم ؟ أجب بقوله في أبياته :

لولا الملامة أو حذار مسبةٍ لرأيتني سمحاً بذاك مبينا

يقول أنا أخشى من شيء واحد فقط : أن أعير ، أن يقال ترك دين آباءه وأجداده ؛ هذه العقدة عند كثير من الناس أن يُسب بأنه ترك دين الآباء ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣] ، فخشي أن يعير وأن يُسب ويقال ترك دين آباءه وترك دين أجداده . هذه العقدة هي التي كانت تمنعه ، وكم منعت من خلق عن الدخول في الإسلام ، وكم منعت أيضاً من خلق عن الانتقال إلى السنة ، تجده مثلاً نشأ على أجداد عندهم بدع وآباء عندهم بدع ، وهو يعرف أنهم على بدع وضلالات لكن لا ينتقل من بدع آباءه وهو يعرف أنها بدع يقول : كيف ؟ وماذا يقال عني ؟ والآباء والأجداد والقرية والمجتمع وكلهم على هذا إلا! أنا أخرج من بينهم وأترك ذلك ؟ فتجد هذه العقدة سبحانه الله تلازم كثير من الناس فتمنعه من قبول الحق .

ولهذا إذا قرأت قصص أقوام الأنبياء مع الأنبياء تجد هذه حجة متكررة عبر التاريخ ، أولئك الذين يطوفون حول البيت عراة رجال ونساء ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ [الأعراف: ٢٨] ؛ فهي حجة قديمة متكررة عبر التاريخ إلى يومنا هذا ، تجد صاحب الباطل يعرف الحق ويتضح له تماماً بلا شك ولا ريب لكنه لا يقبل الانتقال لأنه لا يريد أن يتخلى عن دين الآباء والأجداد .

فالشاهد أبو طالب يقول : " لولا الملامة أو حذار مسبة لرأيتني سمحاً بذاك مبينا " يعني لرأيتني دخلت في هذا الدين بسماحة وليونة وإقبال، لكنني أخشى من هذه . وسبحان الله هذه العقدة حتى عند لحظات الموت هي التي اتكأ عليها أبو جهل ومن معه في صدّه عن قبول الحق الذي كان يدعو إليه النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

إذاً أبو طالب قام على كفالة النبي ورعايته ونصرته إلى أن توفي ، وكانت وفاته قبل الهجرة بثلاث سنوات ، إذاً كم سنة كان على رعاية النبي عليه الصلاة والسلام ؟ وبعد أن نبئ وأرسل عليه الصلاة والسلام؟ عشر سنوات وهو في نصرة النبي عليه الصلاة والسلام ؛ في وقت شدة الأمر في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، لو حسبتها من بدء الكفالة إلى أن توفي أبو طالب أكثر من أربعين سنة ، والنبي عليه الصلاة والسلام يعرف هذه ؛ عمه ومنذ الصغر ثمان سنوات وهو عنده يرعاه ويحتفي به ويكرمه ويقدمه في المجلس ، ثم لما أرسل وقف معه وقفه عظيمة ، في حصار الشعب كان مع النبي عليه الصلاة والسلام ، شيء عجب في مواقفه إلى آخر لحظاته ، والنبي عليه الصلاة

والسلام حريص أشد الحرص على هداية عمه ، لأن تلك المواقف التي قدّمها مواقف عظيمة جداً وفي قلب النبي عليه الصلاة والسلام لهذا العم محبة طبيعية وليست محبة شرعية ، يجب لكونه عمه ، لأنه كفله ، لأنه نصره ، لأنه آزره ، لأنه وقف معه ، يجب محبة طبيعية لكن لا يجب محبة شرعية لأنه ليس على دين الله تبارك وتعالى . وكان عليه الصلاة والسلام باستمرار حريصاً على عمه ودعوة عمه فلا يستجيب ؛ فجاء صلى الله عليه وسلم في اللحظات الأخيرة - والله موقف من أعظم وأشد ما يكون - جاء في اللحظات الأخيرة لما حضرت أبا طالب الوفاة . ومعنى أن حضرته الوفاة ليس المراد أنه عاين وكان في النزع ، لأن الإيمان في مثل هذا الوقت لا ينفع ، إيمان المعاينة لا ينفع ، لكن لما حضرته الوفاة : يعني بدأت تظهر شيء من أمارات دنو الأجل . فجاء النبي عليه الصلاة والسلام وكان عنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل وأيضاً الراوي المسيّب ابن حزن كانوا عنده .

((فقال له النبي عليه الصلاة والسلام : يا عم)) وانظر أيضاً التلطف في الخطاب والترفق معه .

((يا عم قل لا إله إلا الله)) يقول له ذلك النبي عليه الصلاة والسلام وهو حريصٌ أشد الحرص على أن يقولها عمه ، لكن ما يملك عليه الصلاة والسلام شيئاً ، لو كان عليه الصلاة والسلام يملك هداية أحدٍ فهذا الموقف موقف يبرز الحقيقة ويوضحها ، لو كان يملك هداية أحد لكان أولى الناس أن تُمنح له أو يعطيه هذه الهداية عمه الذي أمامه وفي اللحظات الأخيرة ومواقفه معروفة ويقول ((يا عم قل لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله)) ، وفي رواية ((أشهد لك بها عند الله)) ، وفي رواية ((أجادل لك بها عند الله)) .

((قل لا إله إلا الله)) والمراد بقولها : ما يعلمه عمه ومن حول عمه والمشركون عموماً ، كانوا يفهمون وأهل لسان يعرفون ماذا تعني أن يقول الشخص لا إله إلا الله ، دعك من أناس جاءوا في قرون متأخرة وهم يجهلون اللسان ويجهلون المعاني والدلالات؛ تجد الواحد يقول مرات كثيرة «لا إله إلا الله» وبعد ما يقول «لا إله إلا الله» يمد يديه "مدد يا فلان" ، أولئك القوم يعرفون أن قول «لا إله إلا الله» تعني إبطال الشرك كله ؛ لما قال لهم عليه الصلاة

والسلام ((قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)) قالوا : ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا شَيْءٌ عَجَابٌ﴾ [ص:٥] ،

وأخذوا يتواصون على عدم التخلي عن عبادة الآلهة ﴿وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمْسُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ

هَذَا شَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص:٦] ، وقالوا في تفاخرهم: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان:٤٢]

. فكانوا يعرفون أن قول «لا إله إلا الله» تعني : إخلاص الدين لله وإفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة والبراءة من الشرك والمشركين ؛ ويدركون ذلك ، لا أن تقال باللسان فقط مع نقضها وهدمها بعبادة القبور والذبح لغير الله وصرف العبادة لغير الله ، أين «لا إله إلا الله» إذا كانت هذه حاله يقولها بلسانه وينقضها بفعاله؟! أي شيء

تنفعه لا إله إلا الله إذا كانت هذه حاله ؟

ولهذا الشيخ رحمه الله تَبَّه تنبيهه هو من أهم التنبيهات في هذا الباب قال : «وهي المسألة الكبيرة ؛ تفسير قول لا إله إلا الله بخلاف ما عليه من يدعي العلم» .

السؤال الذي يطرح نفسه هنا : من أين نأخذ تفسير لا إله إلا الله من هذا الحديث ؟ هل يوجد في هذا الحديث تفسير لـ لا إله إلا الله ؟ ومن أين نأخذه من الحديث ؟ لاحظ قال ((يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب؟)) إذاً ما هو تفسير «لا إله إلا الله» من خلال هذا السياق الذي أمامك الآن ؟ تفسيرها : الرغبة عن ملة الشرك والمشركين وعبادة غير الله، وإخلاص الدين لله سبحانه وتعالى . وهم يعرفون أن «لا إله إلا الله» تعني الرغبة عن ملة عبد المطلب .

فالحديث فيه تفسير «لا إله إلا الله» ، وفيه أن أولئك المشركون الأول كانوا يعرفون معنى «لا إله إلا الله» ، ولهذا قال من قال من أهل العلم : قُبْحاً لمن كان أبو جهل أعرف منه بمعنى لا إله إلا الله ، أنَّ أبو جهل لما قال النبي عليه الصلاة والسلام لأبي طالب ((قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله)) لما قال له هذه الكلمة قال له أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ إذاً هو يفهم أبو جهل أن لا إله إلا الله تعني أن قائلها رغب عن ملة عبد المطلب وتخلي عنها وتركها إلى الإخلاص والتوحيد والبراءة من الشرك .

((قالا له أترغب عن ملة عبد المطلب؟)) اقتصرنا على هذه الحجة فقط ؛ وهي ملة الآباء وعدم التخلي عنها ، ولكونها عندهم أعظم حجة ووقوعها في النفوس أعظم وقع اكتفيا بها وجاء بهذا الأسلوب أسلوب الاستفهام الإنكاري «أترغب عن ملة عبد المطلب؟» ؛ يعني كأنهما يقولان له : تعرف أنت ملة عبد المطلب التي نشأنا عليها وترعرعنا عليها وتعرف مكانة هذه الملة أترغب عنها ؟

((فأعاد عليه النبي عليه الصلاة والسلام)) وهو حريصٌ صلى الله عليه وسلم أشد الحرص ((أعاد عليه فأعاد)) يعني النبي صلى الله عليه وسلم أعاد عليه ((يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله)) فأعادها عليه أي قولهما «أترغب عن ملة عبد المطلب؟» .

ماذا كان آخر ما قال أبو طالب ؟ وعلى أي شيء مات ؟

قال : ((فكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب، وأبي أن يقول لا إله إلا الله)) الراوي غيَّر قوله «أنا» إلى «هو» ؛ لما في هذا اللفظ من قبح وشناعة فغيَّره وقال : قال هو على ملة عبد المطلب ، بينما أبو طالب قال أنا ولم يقل هو ، لكن الراوي لما أراد أن يذكر غير هذه العبارة ؛ وهذا من الأمر المستحسن ؛ كره أن يقول "أنا على ملة عبد المطلب" قال هو على ملة عبد المطلب ، مع أنه يقول حكاية !! وجاء في بعض الروايات في المسند وغيره أن الراوي قال : ((فقال أنا على ملة عبد المطلب وأبي أن يقول لا إله إلا الله)) .

ماذا يكون هذا الموقف وهذا الأمر بالنسبة للنبي عليه الصلاة والسلام ؟ انتهى الأمر الآن ومات عمه أمام ناظره وهو حريص على هدايته ومات على الكفر ، وقبل أيضاً موته وهو يَأْبِي ذلك وهما عنده وأبي أن يقول لا إله إلا

الله حلف النبي عليه الصلاة والسلام حلفاً بالله وفيه تطيب ل خاطر عمه ، حلف بالله ماذا قال ؟ يدلك أيضاً على حرصه الشديد على عمه قال : ((أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك)) قالها وعمه يسمع .

يقول ((فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لك)) ؛ اللام هنا لام القسم ، وجاء في بعض الروايات التصريح بالقسم قال ((أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك)) .

((فأَنْزَلَ اللهُ قَوْلَهُ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ ﴾ [التوبة: ١١٣])) ؛ جاء النهي والمنع ، فتوقف عليه الصلاة والسلام من الاستغفار لعمه ، نُهي عن ذلك .

((ثم نزل قول الله برك وتعالى في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦])) أي : من أحببت هدايته لا تملك له شيئاً من ذلك ما لم يكتب الله سبحانه وتعالى له هداية .

وكان نبينا عليه الصلاة والسلام كثيراً ما يقول : ((مَنْ يَهْدِيَهُ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ)) ، كان يقول ذلك في خطبته خطبة الحاجة المعروفة ، يكرر ذلك باعتبار أن هذا أصل عظيم ينبغي أن يفهم ؛ ((مَنْ يَهْدِيَهُ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ)) ؛ فالهداية بيد الله سبحانه وتعالى .

قوله ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ أي : أمر الهداية بيد الله . عندما تتأمل آيات المشيئة في القرآن ، تتبعها مرة وجدت أنها تزيد على الأربعمئة موضع ، أشياء متنوعات تُذكر مربوطة بالمشيئة ؛ مثلاً هنا: ﴿

يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ ، ﴿ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢١٢] ، ﴿ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلُّ مَنْ تَشَاءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦] ، ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ [الشورى: ٤٩] ، ﴿ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ

مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦] ، ﴿ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ١٨] يعني مثل هذا قرابة الأربعمئة موضع ، كل شيء بمشيئة الله هداية ، رزق ، صلاح ، استقامة ، غفران ، رحمة ، جنة ، ملك ، أي شيء ؛ الأمر كله بمشيئة الله ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، والشيء الذي تشاءه وتريده أيها العبد ولو حرصت عليه

لك أو لغيرك لا يمكن أن يقع إلا إن كان الله شاء ذلك ، وفي هذا يقول الشافعي رحمه الله :

مَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ
وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ
خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ
وَفِي الْعِلْمِ يَجْرِي الْقَتَى وَالْمُسِينُ
عَلَى ذَا مَنْنَتَ ، وَهَذَا حَدَلْتِ
وَهَذَا أَعْنَتَ ، وَذَا لَمْ تُعْنِ
فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ ، وَمِنْهُمْ سَعِيدُ
وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ ، وَمِنْهُمْ حَسَنُ

أي كل ذلك بالمشيئة ، الأمر بمشيئة الله ، فرينا جلا في علاه له القدرة الشاملة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠٠] ، وله المشيئة النافذة فما شاء كان طبقاً لما شاء في الوقت الذي شاء ، لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه سبحانه وتعالى .

فهذا كله مما يُكسب القلب فهماً للتوحيد والإخلاص وقوة الإقبال على الله سبحانه وتعالى . كيف يقبل قلب الإنسان على مخلوق مثله حي أو ميت فيما لا يملكه لا لنفسه فضلاً أن يملكه لغيره!! فهذا كله من براهين التوحيد وشواهد ودلائله العظيمة ووجوب الإخلاص لله سبحانه وتعالى وأن الواجب على العبد أن يكون عظيم الالتجاء إلى الله عظيم الانكسار بين يدي الله ؛ لا يدعو إلا الله ، لا يسأل إلا الله ، لا يستغيث إلا بالله ، لا يطلب المدد والعون إلا من الله ، لا يصرف شيء من العبادة إلا لله سبحانه وتعالى . فكما أنه تفرد بالخلق والرزق وله سبحانه وتعالى المشيئة النافذة والقدرة الشاملة ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء فالواجب أن يُفرد وحده تبارك وتعالى بالعبادة ، فلا يُصرف شيء منها لغيره .

قال رحمه الله تعالى :

فيه مسائل ؛ الأولى : تفسير { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } .

قال رحمه الله تعالى : «فيه» أي في هذا الباب مسائل ؛ «المسألة الأولى : تفسير { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ }» وتفسيرها واضح ومعناها بيّن وهو أن الهداية أمرٌ بيد الله ، والمتفضل بها هو الله سبحانه وتعالى ، ولا يملك أحد هداية أحد ، فالهداية أمرها بيد الله ، ولهذا الصحابة كانوا يقولون في رجزهم

لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا صُمْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

يعني لولا أن الله منّ علينا بالهداية ما اهتدينا ، والله جل وعلا يقول في القرآن: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (٧) فضلاً من الله ونعمةً واللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿[الحجرات: ٧-٨] ، ويقول جل وعلا: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَبَعُمُ الشَّيْطَانُ الْإِنْسَانَ قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣] ، ويقول جل وعلا ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١] ، وقال جل وعلا لنبيه: ﴿وَلَوْلَا أَن تَبَتُّنَا لَقَدْ كُذِّبْتُمْ لَوْلَا أَن تَبَتُّنَا لَقَدْ كُذِّبْتُمْ لَوْلَا أَن تَبَتُّنَا لَقَدْ كُذِّبْتُمْ لَوْلَا أَن تَبَتُّنَا لَقَدْ كُذِّبْتُمْ﴾ [الإسراء: ٧٤] . فالأمر كله بيد الله سبحانه وتعالى ، ولا مهتدي إلا من هداه الله سبحانه وتعالى ، ولا أيضاً سالماً من الضلال إلا من سلّمه الله جل وعلا .

فإذا قيل كيف جمع بين قوله تبارك وتعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ وقول الله جل وعلا في وصف نبيه عليه الصلاة والسلام ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] ؟ فوصفه أنه يهدي وهنا نفى عنه

الهداية . القاعدة : أن الشيء إذا أُثبت في القرآن ونُفي فالمثبت غير المنفي ، الهداية المثبتة غير الهداية المنفية ، ما الهداية المنفية في قوله ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ ؟ هداية التوفيق وشرح الصدر لقبول الحق ، هذا أمر بيد الله ، لا يملكه أحد كائناً من كان، أمرٌ بيد الله وحده سبحانه وتعالى ، وكان نبينا عليه الصلاة والسلام يقول : ((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)) تقول له أم سلمة : «أَوِإِنَّ الْقُلُوبَ لَتَتَقَلَّبُ؟» قَالَ : ((ما من قلب إلا هو بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلِّبه كيف يشاء)) انتبه للمشيمة ((يقلِّبه كيف يشاء فإن شاء أقامه وإن شاء أزاغه)) فهداية التوفيق وشرح الصدر لقبول الحق هي بيد الله وحده . أما قوله ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ هذه هداية الدلالة والإرشاد ، تهدي : أي ترشد .

النبي عليه الصلاة والسلام في هذه القصة في ضوء قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢] هدى عمه أو لم يهده ؟ هداه بمعنى دعاه ، لأنك إذا قلت هداه كأنك تقول دعاه ، لأن الهداية هداية إرشاد . فإذا قيل : هل هداه بمعنى أرشده ودعاه ؟ نعم ؛ ((يا عم قل لا إله إلا الله)) هذه هداية، يهdy عمه بمعنى يرشد عمه ، لكن هداية التوفيق فيها نزل ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ لا يملك أن يوفق عمه للهداية، ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣] .

هذا الأمر حقيقة مهم فهمه بالنسبة للآباء بالنسبة للأمهات بالنسبة للدعاة والمربين ، ينبغي أن يفهم هذا الأمر؛ أحيانا بعض الناس إذا بذل شيئاً من الجهد مع أبناءه ومع أولاده أو مع المدعوين ثم لم يجد استجابة يضجر ويتململ أو نحو ذلك !! الهداية ليست لك ، أنت لك مهمة واحدة وهي أن تبين وترشد وتدل ، هذه مهمتك ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] الهداية ليست لك ؛ هدايتهم بمعنى صلاح قلوبهم وشرح صدورهم للاستقامة هذا ليس لك ، أنت لك مهمة واحدة وهي أن تبين وتدل وترشد هذه مهمتك ، فإذا بيّنت وأرشدت ووضحت وكتب الله سبحانه وتعالى هداية لمن دعوته فهذا من فضل الله عليك كما قال النبي لعلي بن أبي طالب ((لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ)) .

الثانية : تفسير قوله { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } .

هذه الآية معناها أيضاً واضح ، فيها النهي ؛ نهي النبي عليه الصلاة والسلام ونهي المؤمنين أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قرى ، يعني ولو كان المشرك أباه أو عمه أو خاله أو أمه أو أياً كان ليس له أن يستغفر له إن كان

مات على الشرك والكفر بالله سبحانه وتعالى ، ففيها النهي عن ذلك. والنبي عليه الصلاة والسلام حلف وعمه
يسمع قال : ((أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك)) فنزل قول الله تعالى { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ... } إلى آخر الآية .

الثالثة - وهي المسألة الكبيرة- : تفسير قوله : ((قل لا إله إلا الله)) بخلاف ما عليه من يدعي العلم .

المسألة الكبيرة وهي : تفسير قول «لا إله إلا الله» ، وأن «لا إله إلا الله» تعني : إخلاص الدين لله والبراءة من
الشرك والبراءة من أهله . «لا إله إلا الله» قائمة على ركنين : الركن الأول النفي ، والركن الثاني الإثبات ، ولا
توحيد إلا بهما . التوحيد نفي وإثبات ، لا توحيد إلا بالنفي والإثبات ، نفي عام للعبودية عن كل من سوى الله ،
وإثبات خاص للعبودية بكل معانيها لله وحده ؛ هذا هو التوحيد ، ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] ،
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] ، ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا نَعْبُدُونَ﴾ (٢٦) ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦]-
[٢٧] . التوحيد نفي وإثبات ، من نفي ولم يثبت لا يكون موحداً ، ومن أثبت ولم ينف لا يكون موحداً حتى يثبت
وينفي هذا هو التوحيد .

فيقول المسألة الكبيرة تفسير قول لا إله إلا الله مستفاد أن النبي قال لعمه ((قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها
عند الله)) فقال له أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ أي أن معناها متقرر عندهم أنها تعني نبد الشرك وإبطال عبادة
غير الله سبحانه وتعالى وإخلاص الدين لله عز وجل ؛ هذا معناها المتقرر عندهم ، وهم هل لسان ويفهمون
الخطاب ؛ ففيها تفسير «لا إله إلا الله» .

قال رحمه الله : «بخلاف ما عليه من يدعي العلم» ماذا يقول من يدعي العلم ؟ يقول : أن من قال «لا إله إلا
الله» نطقاً نطق بها وتلفظ وقال أنا مسلم ، حتى لو فعل أشياء تخالف لا إله إلا الله لا تضره في إسلامه ، يقول
يعتبر مسلماً وإن كان يعبد غير الله ويسأل غير الله ويذبح لغير الله ويصرف من العبادة ما يصرف لغير الله يكون
مسلماً. وأين الإسلام إذا كانت حقيقة «لا إله إلا الله» مفقودة في هذا القائل؟! وأي فائدة في قول حقيقته
مفقودة عند الإنسان؟! ينطق بلا إله إلا الله وهو لا يحققها!! يكررها وهو لا يحققها!! يقول «لا إله إلا الله»
ويعبد غير الله!!

فيقول رحمه الله : «بخلاف ما عليه من يدعي العلم» أي من يجعل من يقول لا إله إلا الله مسلماً على أي حال
وإن عبد غير الله ، وإن صرف من العبادة ما صرف لغير الله تبارك وتعالى ، مع أن «لا إله إلا الله» إنما تُقبل
بشروطها وقبورها التي جاءت في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

الرابعة : أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي صلى الله عليه وسلم إذا قال للرجل : ((قل لا إله إلا الله)) فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام .

الرابعة : أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي عليه الصلاة والسلام إذا قال للرجل : " قل لا إله إلا الله " يعرفون المراد ، يعرفون أن لا إله إلا الله تعني نبد الآلهة . لما قال لهم ((قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)) قالوا : ﴿ أَجَعَلَ الْإِلَهَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنِّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ [ص:٥] . فأبو جهل ومن معه يعرفون أن «لا إله إلا الله» تعني : البراءة من كل ما يُعبد سوى الله وإفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة وإخلاص الدين له ، يعرفون ذلك .

فيقول الشيخ معلقاً على هذا : «فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام»؛ يعني من وصفهم قبل قليل بمن يدعي العلم من يقول إن الذي يقول «لا إله إلا الله» ويزعم أنه مسلم حتى وإن كان يعبد غير الله ويذبح لغير الله ويسجد لغير الله ، حتى بعضهم يقول حتى لو كان يسب الدين ويسب الله ويسب النبي كل هذه الأمور مادام أنه ينطق بلا إله إلا الله ويدعي أنه مسلم ما تكون سبباً في أن يقال عنه أنه ليس بمسلم . فيقول رحمة الله عليه : «فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام» ماذا يقصد رحمه الله بأصل الإسلام ؟ أصل الإسلام النطق بلا إله إلا الله مع فهم معناها ؛ هذا أصل الإسلام ، أما النطق بلا إله إلا الله دون فهم معناها ما جاء بأصل الإسلام أصلاً ، من ينطق وهو لا يدري ماذا تعني هذه الكلمة لم يأت بأصل الإسلام ، أصل الإسلام أن يأتي بلا إله إلا الله مع فهم معناها معتقداً ذلك مؤمناً به مقرباً .

الخامسة : جده صلى الله عليه وسلم ومبالغته في إسلام عمه .

وهذا أمر واضح ؛ كان عليه الصلاة والسلام حريصاً أشد الحرص على هداية عمه ، وحاول مرات وكرات إلى اللحظات الأخيرة وهو عنده يا عم يا عم يحاول معه ، كان حريصاً على ذلك صلوات الله وسلامه عليه أشد الحرص .

السادسة : الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه .

واضح الرد على ذلك لأن الحديث جاء صريحاً بذلك ؛ أنه مات وهو يقول هو على ملة عبد المطلب وأبي أن يقول لا إله إلا الله ، فمات على غير الإسلام ، والنبي صلى الله عليه وسلم أقسم أن يستغفر له ما لم يُنه عن ذلك، وجاء النهي عن ذلك ، فمات على غير الإسلام والأمر واضح ؛ ففيه الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه ، لأن أهل الغلو في هذا الباب عندهم مغالاة ومجازوات ومجازفات فيدعون إسلام أبو طالب وإسلام أبي النبي وإسلام أجداده ويفهمون ذلك من بعض النصوص فهماً مغلوياً ويحملون النص ما لا يحتمل من المعنى

ويتكون الواضحات ، الأدلة الواضحة يتكونها ويتمسكون بأمر مشتبهات . فالحديث فيه الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه .

السابعة : كونه صلى الله عليه وسلم استغفر له فلم يُغفر له بل نُهي عن ذلك .

السابعة : كونه عليه الصلاة والسلام استغفر له ؛ لأنه قال ((أما والله لأستغفرن لك)) حلف وبدأ يستغفر ، ثم جاءه النهي ، نزل النهي فتوقف عليه الصلاة والسلام . فيقول : «كونه صلى الله عليه وسلم استغفر له فلم يغفر له بل نُهي عن ذلك» نُهي أن يستغفر له ؛ فهذا كله من براهين التوحيد ودلائله وأن النبي عليه الصلاة والسلام ليس له من الأمر شيء .

الثامنة : مضرة أصحاب السوء على الإنسان .

إي والله ما أعظم مضرته !! خلطاء السوء وقرناء الشر من أضر ما يكون على الإنسان ، وكم من إنسان هلك ودخل في مهالك عظيمة بسبب قرناء السوء وخلطاء الفساد ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدَكُمْ مَنْ يُخَالِلُ)) ؛ المرء على دين خليله : يعني على دين أصحابه وخلطائه ومن يجالس ، فالجليس له مضرة عظيمة جداً على جليسه ، وانظر هؤلاء حول أبي طالب وكلما دعاه النبي عليه الصلاة والسلام أعادا عليه إلى أن مات وهو يقول هو على ملة عبد المطلب .

سبحان الله !! هنا أيضا من آيات الله في باب الهداية يهدي من يشاء ويضل من يشاء ؛ هؤلاء النفر الثلاثة الذين كانوا عند أبي طالب ويعيدان عليه -عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل- "بل على ملة عبد المطلب" والمسيب كان حاضراً ولم يكن مسلماً ، انظر كيف أن الله سبحانه وتعالى منَّ على عبد الله بن أبي أمية بالهداية مع أنه كان قبل جالساً عند رأس عم النبي عليه الصلاة والسلام أبا طالب وكلما قال له النبي ((قل لا إله إلا الله)) قال له "على ملة عبد المطلب" ، إلى أن مات عم النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول على ملة عبد المطلب ، ثم يشاء الله ويمن على عبد الله بن أبي أمية بالهداية للإسلام ، ويمن على المسيب بالهداية إلى الإسلام ، وأبو جهل الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بفرعون هذه الأمة مات على الكفر والشرك بالله سبحانه وتعالى . فهذه من عجائب باب الهداية؛ هذا الرجل الذي كان جالساً عند عم النبي صلى الله عليه وسلم ويصده ويقول له "بل على ملة عبد المطلب" يشاء الله رب العالمين له الهداية ويهدي ويدخل في الإسلام -الذي هو عبد الله بن أبي أمية- ، فأمر الهداية لله ويبد الله سبحانه وتعالى .

والآن إذا تفكرت في العالم ؛ نستحضر يا إخوان باب الهداية ، إذا تفكرت في العالم الآن وما فيه من الضلال العريض والكفر ؛ انظر نعمة الله عليك وكن حامداً لربك شاكراً له سبحانه وتعالى ، كيف أنه هداك فصرت

مسلماً صائماً مصلياً ذاكراً تالياً لكتابه ، والله هذه النعم لولا أن الله تفضل ومنّ ويسّر لك هذا الأمر ما كان ليحصل شيء من ذلك ، لولا فضل الله عليك ورحمته ، لولا أن الله هو الذي تفضل وشرح صدرك وهداك لما كنت من المهتمدين ؛ فاذا كنت دائما نعمة الله عليك ، اذكر هذه الهداية التي يسرها الله لك وأكرمك بها واحمد الله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣] . الأرض تعج بالكفر والضلال والشرك والفساد فهذه الهداية منة ولطف وفضل ومنحة ربانية يتفضل ويعطي ﴿وَأَنْزَلَ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩] ؛ فهذا من جهة تذکر نعمة الله سبحانه وتعالى عليك ، ومن جهة كل حاجاتك وطلباتك وأمورك لا تلجأ فيها إلا إلى الله جل وعلا الذي بيده أزمنة الأمور ومقاليد السماوات والأرض . عندما يقال «مضرة أصحاب السوء على الإنسان» ؛ هذا الزمان استجد فيه قرناء سوء لم يكن لهم وجود في الزمن الماضي ، ويخالطهم كثير من الناس بالساعات الطويلة ، يجلس معهم جلسات مطولة وساعات طوال وهو يستمع إليهم ويشاهدهم ويرى أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم ساعات طوال ، وهذا النوع من الجليس الذي وُجد هذا الزمان مضرتة من أعظم ما يكون وأشد ما يكون؛ أعني القنوات الفضائية والشبكات التي في الانترنت ، وخاصة المواقع الموبوءة مواقع الشبهات ومواقع الشهوات ، وكيف أن الإنسان إذا أسلم نفسه إلى تلك القنوات وتلك المنافذ منافذ الشر وأخذ يستمع ويشدّه الزخرفة ووسائل الجذب الذي يضعها أولئك في باب الشهوة عملوا عملاً ما كان وُجد له نظير فيما سبق فيما يتعلق بتصوير النساء وتجميل النساء وإبراز مفاتن النساء ، حتى العورات والفروج وكل المنكرات جمعوها في تلك القنوات بصورة مزرية وقبيحة ومضرة بأشد ما يكون ، وتبقى سبحانه الله فتنة التصوير التي جاء تحريمها في الشرع وبيان خطرها فتنة عظيمة على الناس ، وما زال الناس يستهينون بالتصوير ويقلّلون من شأنه وهم ما يزالون يرون أضراره الجسيمة عليهم في أنفسهم في أهليهم في أولادهم في مصائب كثيرة جاءت بالتصوير هذا المحرم ، وكم من الفتيات بسبب هذا التصوير تشتكي من الابتزاز والتعدي ، وكم من صور التقطت خلصةً للنساء في مجالس خاصة لهن وغير ذلك أمور عظيمة جداً ؛ فهذه القنوات - قنوات الشر - دعك لا نتحدث القنوات التي فيها الخير وفيها الفائدة أو المواقع التي فيها الخير والفائدة ، لكن الشر الكبير وتجذب بعض الناس وبعض الشباب يجلس ويفتح قنوات فيها شبهات وقنوات فيها شهوات ويجالسهم بالساعات !! كم يترتب على ذلك من المضرة والشر والفساد!؟

التاسعة : مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر .

مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر هذه مثل ما وصفت عقدة قديمة لدى كثير من الناس حجبتهم عن الحق ومنعتهم من الخير ﴿قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢] ، هذه على عبر التاريخ تتكرر

سواء عند أهل الشرك أو عند أهل البدع ، حتى أهل البدع إذا نشأ الإنسان في بلد فيه بدع مستشرية ومتفشية ثم بُيِّت له السنة تجدد بعضهم لا يقبل السنة لا لشيء إلا لأنه لا يريد مخالفة ما وجد عليه الآباء والأجداد ، فهذه مثل ما وصف مضره تعظيم الأسلاف والأكابر ، والمراد : تعظيمهم التعظيم الذي يترتب عليه مثل هذا الشر والفساد ، أما تعظيم بمعرفة قدره ومكانته ومنزلته فهذا لا شيء فيه ، لكن أن يعظمه بأن يقبل كل ما عنده ، أن يعظمه يأخذ ما عنده ولو كان يخالف الحق إلى غير ذلك فهذا هو من أضر ما يكون على الإنسان .

العاشرة : الشبهة للمبطلين في ذلك لاستدلال أبي جهل بذلك .

لأن أبا جهل استدل لعن النبي لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم ((قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله)) استدل بقوله : «أترغب عن ملة عبد المطلب؟» وأتى بهذا الاستفهام الإنكاري مما يدل على أن هذا أمر عظيم ومتقرر عندهم وأنه لا يمكن أن يتخلى عنه الإنسان .

الحادية عشرة : الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم لأنه لو قالها لنفعته .

فالأعمال بالخواتيم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام ((من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)) فالأعمال بالخواتيم ، والحديث فيه شاهد واضح لذلك .

الثانية عشرة : التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها مع مبالغته صلى الله عليه وسلم وتكريره ، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصرنا عليها .

هذه الشبهة «أترغب عن ملة عبد المطلب» وتعظيم الآباء والأسلاف والأكابر ؛ هذه شبهة هي من أكبر الشبهات التي أضلت القوم عن سواء السبيل ، فهي شبهة كبيرة جداً في قلوب الضالين ، ومن كبر هذه الشبهة وتمكنها من نفوسهم اكتفوا بها ، مع أن النبي عليه الصلاة والسلام بالغ وكرر ((يا عم)) ويعيد عليه و((يا عم)) ويعيد عليه وكانا لا يعيدان إلا هذه الشبهة فقط ، في كل مرة يعيدان «أترغب عن ملة عبد المطلب؟» مما يدل على أنها متمكنة في نفوسهم ومعظمة في صدورهم وهي أكبر الموانع التي منعتهم عن الحق والهدى . وجاء في القرآن في مواضع كثيرة أجوبة مسددة ونافعة وموقظة لقلوب هؤلاء ؛ مثل قوله تعالى : ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَإِيعِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠] ، مثل قوله : ﴿أَوَلَوْ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ [الزخرف: ٢٤] ؛ هذه أجوبة مسددة في إبطال هذه الشبهة . إذا وجد الإنسان أباه على شيء وكان أبوه لا يعقل ولا يعلم ولا يهتدي أيُّ مسوغ له بأن يقبل ما عليه أباه لا لشيء إلا لأنه وجد عليه أباه؟! هذه حجة من أوهى الحجج

وأفسدها . ثم إذا كان الإنسان على طريقة وجيء له بطريقة أهدى وأنفع وأبرك وأسدّ وعرف ذلك ثم ردها لا لشيء إلا لأنه وجد عليه الآباء! هذا من الحماسة ومن السفه ﴿أَوَلَوْ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ ، جاءهم النبي عليه الصلاة والسلام بالدين القويم والصراط المستقيم والمحجة الواضحة البينة وامتنعوا من قبولها لا لشيء إلا لعدم الرغبة في ترك ملة الآباء والأجداد .

الشاهد أن هذه الترجمة ترجمة عظيمة جداً وموقظة للقلوب في إصلاح التوحيد والبراءة من الشرك وأن الأمر كله بيد الله تبارك وتعالى ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، له الأمر من قبل ومن بعد ، وبيده تبارك وتعالى أزمة الأمور ، يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه سبحانه وتعالى ، من شاء أقامه ومن شاء أزاعه ، له الأمر سبحانه وتعالى من قبل ومن بعد .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.